

التعايش السلمي بين المسلمين والصينيين (القرن الثالث – القرن الثامن للهجرة / التاسع – الرابع عشر للميلاد) م.د. ساجد عبد محمد

جامعة الموصل كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٢٠/٥/٣ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٢٠/٧/٥

المخلص :

لم يكن مصطلح التعايش جديداً على المسلمين، ذلك أن تجربة الإسلام مع التعايش تجربة طويلة تمتد منذ فجر الإسلام الأول إلى يوم الناس هذا إلى ماشاء الله، وهي زاخرة وحافلة بأساليب شتى من التعايش والتواصل، ولكنها تختلف حسب طبيعة البيئة مثل أن تكون بيئة أقلية مسلمة، أو أغلبية مسلمة ، وعلى الرغم من ذلك فقضية التعايش تبقى ضرورة حتمية وواجباً إنسانياً وفظرياً بين البشر جميعاً، وكانت وما زالت تشغل العلماء والمفكرين المسلمين والغربيين، ولقد شعر بأهميتها المسلمون وغير المسلمين، لذلك تعالت النداءات التي تطلب مزيداً من التعايش الحسن، وفق ذلك كله جاء موضوع التعايش السلمي بين المسلمين والصينيين ليركز على ضرورة التعايش بين بني البشر، وهذا ما أكدت عليه السماء وطالبت به المجتمع البشري تحقيقاً للتوازن ومنعاً للاختلاف ، وكيف أبدى المسلمون سلوكاً حضارياً كان سبباً في تأثير الكثير من الصينيين بهم واعتناقهم الإسلام، وشكل المسلمون والصينيون نموذجاً ناصعاً للتعايش السلمي وتقدم الآخر في تلك المدة، ولقد تم معالجة الموضوع من خلال مقدمة وأربعة محاور تناولنا في المحور الأول أماكن استقرار المسلمين في الصين وتعايشهم وخص المحور الثاني بالحديث عن التعايش السياسي السلمي اما المحور الثالث فقد تحدثنا عن التعايش الاقتصادي السلمي وختم البحث بالحديث عن التعايش الاجتماعي السلمي، فضلاً عن خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

Peaceful Coexistence between Muslims and the Chinese (The 3rd Century – 8th Century A.H. / 9rd Century – 14th Century AC.)

Lect.Dr.Sajid Abid Mohammed
Department of History
Mosul university College Education for Humantrian Sciences

Abstract :

Mankind knew peaceful coexistence from time immorial although it was not used as a term in the old periods and they have simiarlities that brought them together. This does not happen if there is no mutual coexistence. Today, the issue of coexistence is one of the most important issues that preoccupy the minds of Muslim and western thinkers and specialists. Muslims and non-Muslims have felt the importance of it. There are frequent calls which ask for good coexistence. Therefore, the topic of peaceful coexistence between Muslims and the Chinese focuses on the necessity of human coexistence. This is required of human society to achieve balance and to strive any difference. Muslims have behaved in a civilized manner, which affected many Chinese people and led them to embrace Islam. In fact Muslims and the Chinese presented a good example of peaceful coexistence and understanding the other at that time. The research comprises an introduction and four sections. The first section examines the concept of coexistence linguistically and terminologically. The second section tackles the peaceful political coexistence. The peaceful economic coexistence is given an account in the third section. Th research ends with the peaceful social coexistence in addition to a conclusion that mentions the findings of the research.

المقدمة :

يبقى لموضوع التعايش السلمي أهمية في احداثنا المعاصرة، ويأتي ذلك من حاجة الإنسانية إلى قبول الآخر، ومن المعروف ان الإسلام دين ومبادئ له سياسته الداخلية والخارجية التي يعيش في ظلها الناس، لذلك فهو أسس قاعدة صلبة، كانت الأساس في كيفية التعامل مع الطرف الآخر.

ومن المؤكد تاريخياً ان الإسلام منذ تشكيل الدولة الإسلامية في العهد النبوي تحديداً في المدينة المنورة وضع أسساً واضحة للتعايش بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، وهو ما دفع المؤرخين بأن يقرون بأن صحيفة المدينة تعد أول دستور عبر عن مفهوم ما يطلق عليه الدولة المدنية في العهد النبوي، إذ لم تفرق بين المسلمين وغيرهم ممن كانوا يعيشون في المدينة المنورة على أساس من الاخوة المبنية على أن لكل طرف حقوقاً وواجبات، وهكذا انتشر الإسلام وانتشر معه المسلمون في بقاع الأرض، وكان للتجار العرب المسلمين وغيرهم دور مهم في نشر الإسلام، حين قدموا نموذجاً يحتذى به في طيب المعشر، وحسن الجوار وتجلي ذلك بوضوح في الصين، فقد خلق التعايش والاعتراف بالآخر واحترام خصوصياته حالة من التوافق والحوار بين المسلمين والصينيين وهذا ما يطلبه العيش المشترك من المجتمع البشري إذ ما أراد التعايش السلمي ، ففي الوقت الذي كانت تعيش فيه حضارات العالم حالة سادها الود احياناً والصراع والصدام احياناً أخرى تبقى العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والصينية ذات طابع سلمي خاص مختلف تماماً إذ أنها على مدى تاريخها تميزت بكونها ودية لم يشوبها شائبة صراع او خلاف جوهري إلا ما ندر مما جعلها نموذجاً فريداً للعلاقات بين الأمم، ومن الصعوبات التي واجهها الباحث في كتابة البحث أن الكتابة في مثل هذا الموضوع ليست بالأمر السهل، كيف تكون كذلك وانت تتعامل مع ندرة المعلومات في المصادر والمراجع العربية لكنها وبفضل الله تعالى لم تشكل عقبة في طريق إنجاز البحث ولا سيما بعد الحصول على عدد من المراجع الصينية المترجمة من معارض الكتب العالمية.

أولاً: أماكن استقرار المسلمين في الصين وتعايشهم :

لا شك أن التجارة تمثل معبر الإسلام الأول إلى الصين؛ فالتجار المسلمون كانوا يضربون الأرض شرقاً وغرباً حاملين معهم مختلف السلع والبضائع إلى أرجاء العالم المختلفة ومنها الصين التي استقروا في مدنها المختلفة مدة شهور أو سنوات، أو طاب لهم السكن فاستقروا

هناك، اشتروا الأراضي والبيوت، وأصبح لهم زوجات وأولاد، يمارسون التجارة مستقرين مطمئنين^(١).

وهناك العديد من الرويات التي تثبت التواجد الإسلامي في أنحاء عدة من الصين منذ (القرن الثاني الهجري/ الثامن للميلاد)؛ فاليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م) عندما تكلم عن ملوك الصين ذكر أنه عرف أخبارهم من خلال "الرواة وأهل العلم ومن سار إلى بلاد الصين فأقام بها الدهر الطويل حتى منهم أمرهم..."^(٢)، وهنا استعان اليعقوبي بالمسلمين الذين أقاموا في الصين الدهر الطويل بوصفهم مصدراً لمعرفة أخبار ملوك الصين.

وكذلك ما ذكره السيرافي (ت في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد) عندما قال: "وجميع من ببلاد الصين من أهلها ومن العرب وغيرهم لا بد أن ينتموا إلى شيء يعرفون به"^(٣)، فضلاً عن ذلك ما أورده ابن النديم (ت ٣٧٨هـ/ ٩٨٨ م) في حديثه عن المنانية^(٤) عندما أراد أمير خراسان قتلهم فأرسل له ملك الصين يهدده وقال له: "إن في بلادي من المسلمين أضعاف من في بلادك من أهل ديني"^(٥) وهدد ملك الصين بقوله: "إن قتل واحد منهم قتل الجماعة به، وأخرب المساجد وترك الأرصاد على المسلمين في سائر البلاد"^(٦) وقد ذكر ابن النديم أن صاحب خراسان لم يقتل أحداً من المنانية وقبل الجزية منهم^(٧) وهذه الرواية تؤكد وجود أماكن استقرار المسلمين في أنحاء الصين المختلفة، وهذا ما أكد عليه أحد المؤرخين عندما قال: "ليس هناك مقاطعة في الصين بدون مسلمين أو جالية إسلامية"^(٨).

لقد توزع المسلمون على مناطق الصين المختلفة، يقول ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ٣٧٧ م): "وفي كل مدينة من الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم، ولهم فيها المساجد لإقامة الجمعات وسواها، وهم معظمون محترمون"^(٩)، وأول هذه المدن مدينة خانفوا (كانتون) التي ذكرها سليمان التاجر (ت القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد) عندما قال "إن في

خانفوا وهو مجتمع التجار رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون تلك الناحية" (١٠) ، وغالباً ما يسكن التجار المسلمون خارج أسوار المدن الصينية في مناطق قاصية (١١) ، وقد يكون السبب في ذلك حفاظاً على عاداتهم وتقاليدهم وممارسة شعائرهم الدينية بعيداً عن عادات الصين وتقاليدها التي تجيز كل شيء محرم.

ومن المدن الأخرى التي استقر فيها المسلمون مدينة الزيتون التي كانت فيها جاليات مختلفة ، غير أن الجالية المسلمة كانت مزدهرة ونشطة (١٢) وكان نفوذها أقوى وأكثر توسعاً من الجاليات الأخرى (١٣).

وفي وسط الصين اشتهرت مدينة (تشنق آن) بالتنوع الثقافي واستقرار جاليات مختلفة فيها ومنهم المسلمون إذ شيّدوا فيها مسجداً في (القرن الثاني الهجري/ الثامن للميلاد) (١٤) ، وكذلك مدينة الخنساء التي احتضنت جالية مسلمة كبيرة أقامت المساجد وأسست الأسواق على غرار المدن الإسلامية (١٥) ، فضلاً عن وجود قاضٍ للحكم بين المسلمين وفقاً للشريعة الإسلامية (١٦). ومن المدن الجميلة التي استقر فيها المسلمون مدينة (خان بالقا) إذ نصب فيها مسلم ليكون مسؤولاً عن باقي المسلمين وتمت مخاطبته بصدر الجهات (١٧).

وشهدت مدن غرب الصين استقرار جالية مسلمة كبيرة لاسيما مدينة كاشغر التي تقع على طريق الحرير، إذ انتشر فيها الإسلام بشكل سريع إلى درجة انحصرت فيها الديانات الأخرى لاسيما البوذية، فأصبح الإسلام الأقوى والمسيطر على كاشغر (١٨).

لقد نتج عن هذا الاستقرار والتعايش بين المسلمين وسكان البلد الأصلاء فضلاً عن الجاليات الموجودة إلى التأثير بالعادات والتقاليد الإسلامية ؛ فقلدت النساء الصينيات نساء المسلمين في الملبس، وقلد النصارى المسلمين والعرب في أطباعهم لاسيما "غسل أقدامهم قبل

الدخول للكنيسة، واكل اللحوم يوم الجمعة، بل وجعل يوم الجمعة يوم عطلة أسبوعية تقليداً وتطبعاً بالعرب المقيمين في المدينة (١٩).

ثانياً: التعايش السياسي السلمي:

دق الإسلام باب الصين وحصل أول اتصال رسمي كما تشير الحوليات الصينية في (القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد) تحديداً في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ إذ وصل سفير صيني الى المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية وأوفد معه الخليفة عثمان رضي الله عنه مبعوثاً وصل عن طريق البر إلى ميناء كانتون الصيني في الثاني من محرم سنة (٦٥١م)، وقد نتج عن هذه الوفادة موافقة الإمبراطور الصيني (جاو-زوغ) (٣٠-٦٥هـ / ٦٥٠-٦٨٤م) على إعطاء المسلمين الموجودين على أرض الصين حق إقامة مسجد لهم في كانتون يمارسون فيه شعائرهم الدينية (٢٠) وعلى الرغم من سكوت المصادر الإسلامية عن هذه الرواية غير انها بالنسبة لنا تبدو مقبولة ، إذ إن عام (٦٥١م يوافق عام ٣٠هـ) وهو عهد الخليفة عثمان بن عفان وكانت قوة العرب في ذلك الوقت قد وصلت إلى أوجها.

ومع سياسة الانفتاح هذه وجد المسلمون أنفسهم في مجتمع يحترم هو وحكامه الآخر فتوثقت علاقاتهم مع السلطة الحاكمة، وزاد عددهم في مدن وموانئ الصين المختلفة، وأصبح لهم نفوذ قوي على المستويين الاقتصادي والسياسي، لذلك أصدر الإمبراطور الصيني مرسوماً بتعيين حاكم مسلم في أكثر المدن التي استقر فيها المسلمون وأولها كانتون (٢١)، ومن هذا يتضح أن المسلمين تمتعوا بمكانة رفيعة وباحترام كبير من السلطة الحاكمة في الصين، ويعد هذا الأمر هو الأول من نوعه في تاريخ الصين بحق المسلمين (٢٢).

إن هذا الاحترام والتشريف نابع من التزام المسلمين بقيم التعايش السلمي والتسامح وإدراكهم فطرة الاختلاف بين الناس جميعاً، وضرورة العيش المشترك ليس فيما بين المسلمين أنفسهم فحسب بل مع غيرهم من معتقي الديانات الأخرى، ومما زاد هذا الاحترام العدل والإنصاف الذي تمتع به ملوك الصين والذي أشادت به المصادر العربية الإسلامية^(٢٣)، إذ كانت العقوبات في مختلف الجرائم صارمة وقوية وتطبق على الجميع ، وبطبيعة الحال فإن دولة القانون مشجعة للسفر والاستقرار فيها وهذا الأمر قد يكون حافزاً ومشجعاً لتواجد المسلمين بكثرة في الصين^(٢٤) وهذا ما قال ابن رضوان احد التجار المسلمين التقاة في الصين: "ان بلاد الصين من آمن البلاد وأحسنها حالاً للمسافرين"^(٢٥).

وإذا انتقلنا إلى أسرة يوان المغولية (٦٠٨-٨٠٦هـ/١٢١١-١٤٠٣م) نجد أن أعداد المسلمين في الصين ازداد بشكل كبير في عصرهم ، وذلك لأن المغول كانوا يشجعون المسلمين للهجرة إلى الصين للاستفادة منهم في إدارة البلاد، فخلال ثمانين عاماً شغل أكثر من ثمانية وأربعين مسلماً صينياً المناصب الهامة في الصين، بين وزير وحاكم إقليمي^(٢٦) كان لهم الفضل في إدارة المناطق المختلفة في الصين ، منهم على سبيل المثال -لا الحصر- سيد الأجل شمس الدين عمر الحارس الذين سافر مع عائلته إلى الصين تدرج في مناصب عدة حتى أصبح الحارس الشخصي لجانكيز خان بعدها تولى إدارة العديد من المدن الصينية، وأسهم في إخماد الكثير من الثورات بين الأقليات وشجع مبدأ التعايش السلمي من دون سفك الدماء واستعمال السلاح، أخمدها بالأخلاق الحسنة السامية التي كان يمتلكها، لذلك حين توفي بكى الناس عليه في الشوارع ودونت حياته في التاريخ الإمبراطوري^(٢٧) وكذلك محمود يلواج الخوارزمي وزير جانكيز خان والذي لعب دور كبير في نشر ثقافة السلم الأهلي ومبادئه ، وقد أحسن الإدارة ونفع الله به الإسلام والمسلمين^(٢٨)، والملاحظ هنا أن المسلمين الذين تولوا مناصب مهمة في الإدارة

المغولية لم تستغل ضد الصينيين بل دائماً يشجعون مبدأ التعايش السلمي وكانوا سبباً في إخماد الكثير من الثورات والفتن التي حدثت في المقاطعات المختلفة في الصين وعملوا على إقامة علاقات ودية مع الدويلات المجاورة وإصلاح علاقة القوميات الصينية المختلفة بالطرق السلمية^(٢٩) ، مع هذا كله لم تخلُ مدة التعايش السلمي التي عاشها المسلمون والصينيون من بعض الحوادث التي عكرت صفو العلاقات بينهم منها الثورة التي قادها أحد الأمراء المتمردين لم تذكر المصادر التاريخية اسمه ضد الامبراطور بايشو فقد استطاع أن يجمع له جيشاً ويتجه نحو مدينة خانقو سنة (٢٣٧هـ/٨٩٩م) فعاث حرقاً وتدميراً للمدينة وأهلها وقتل أكثر من مائة وعشرين الفاً من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس^(٣٠) ، وقد أكد السيرافي هذا العدد من القتلى عندما قال: "فذكر اهل الخبرة بأمورهم انه قتل من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس سوى من قتل من اهل الصين مئة وعشرين الف رجل" ^(٣١).

تعكرت الأجواء مرة أخرى في (القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد) حين بدأ عهد أسرة التانغ يفقد قوته السابقة إلى إن وقعت الصين تحت سيطرة حكام مستبدين أسهموا في تدمير النظم الأدبية والتجارية المتفوقة التي أسست منذ بداية عهد التانغ وقد أسس هذه الأسرة امبراطور السونغ تشاوكونغ وعرفت باسم السونغ (٣٤٩ - ٦٧٨هـ/ ٩٦٠-١٢٧٩م)، وقد عرف عنه وعن هذه الأسرة الحاكمة عدم انفتاحها على العالم الخارجي، إذ انتهجت سياسة عدم الاهتمام بالجاليات المقيمة في الصين ورعايتهم بل أبدت تخوفاً منهم^(٣٢) وعلى الأرجح ان العلاقة مع الجالية المقيمة هناك قد تأثرت بشكل كبير خاصة بعد أن اصدر حاكم الأسرة قرارات صارمة ضد انتشار الأديان الأخرى في الصين، لاسيما حين اصدر سنة (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م) قراراً يوجب الحصول على ترخيص لبناء المساجد والمعابد في الصين^(٣٣).

ثالثاً: التعايش الاقتصادي السلمي :

كان الجانب الاقتصادي هو الوسيلة الأولى للتعارف بين العرب والصين ، وكانت التجارة هي معبر الإسلام الرئيسي إلى هذا البلد، وعلى الرغم من أن العلاقات التجارية بين الجانبين كانت اسبق من ظهور الإسلام غير أنها بعد ظهور الإسلام توثقت وتوسعت لاسيما بعد وفود أعداد كبيرة من المسلمين واستقرارهم في المدن الساحلية الصينية ، فازداد عددهم، وكثرت تجارتهم ، وذاع صيتهم ليس لدى العامة فقط وإنما لدى السلطة الحاكمة في الصين (٣٤).

لقد رسم التعايش الاقتصادي السلمي صورة جميلة من خلال الأمانة والصدق التي تحلى بها التاجر العربي المسلم من جهة، وحسن التعامل والتسهيلات التي قدمتها السلطات الصينية من جهة أخرى، فقد سعت الى الاستفادة منهم ومن خبراتهم التجارية، وسنت القوانين لحمايتهم وتنظيم حياتهم وفق شريعتهم، فضلاً عن ذلك عدم فرض ضرائب باهضة على التجار الوافدين والمقيمين في الصين (٣٥) ، لذلك سخرت خبراتهم في مجال التنظيم والإدارة ذات الصلة بالأمر التجاري والمالية، ولهذا الغرض أنشئت إدارة جديدة عرفت (سي-بو-شما) وتعني (إدارة المراقبة على الملاحة التجارية والبحرية)، وقد أنشئت في كانتون ثم انتقلت إلى باقي المدن الصينية وكانت وظيفة هذه الإدارة تفتيش السفن القادمة من الصين والذاهبة إليها وجباية الرسوم على البضائع الواردة على اختلاف أنواعها، وقد أسندت مهام هذه الوظيفة الهامة إلى رجل عربي مسلم له معرفة تامة بالأوضاع التجارية البحرية وخفاياها (٣٦).

وفي الموضوع نفسه استعانت السلطات الصينية برجل الاقتصاد الكبير سعد الدين تيان شي فقد تولى منصباً اقتصادياً مهماً في منطقة تشيجيانغ [أحدى المقاطعات الصينية] سعى من خلاله إنعاش الاقتصاد المحلي وتطويره وتنشيط السوق ؛ إذ قام بتحديد المقاييس والمكاييل والموازين لضمان الاستقرار المالي وكبح غلاء الأسعار (٣٧) ، وغير هؤلاء الكثير ممن أسندت

لهم وظائف ومسؤوليات تتعلق بشؤون التجارة أو مهام إشرافية أو تنظيمية ذات صلة بالاقتصاد^(٣٨) ومن تأثيرات التعايش الاقتصادي السلمي في الشأن التجاري استخدام الصينيين للنقود الفضية لأول مرة بعد تعاملهم مع المسلمين، وكان الصينيون يستعملون نقوداً ذهبية ونحاسية فقط في حين استخدمت الفضة للزينة، وقد اصدر الصينيون لأول مرة عملات رسمية من معدن الفضة في عهد أسرة جهانج^(٣٩) تأثراً بالتجار المسلمين الذين استعملوا النقود الإسلامية الدنانير الذهبية، والدرهم الفضية في تعاملاتهم المالية مع الصينيين^(٤٠).

أما في مجال الصناعة فقد تأثر الصينيون ببعض الصناعات الحرفية التي اشتهرت بها مراكز الحضارة الإسلامية والتي لم يعرفها الصينيون من قبل ولاسيما صناعة الأسلحة ومنها المنجنيق أو المدفع الناري الذي ساهم بشكل كبير في رفع قدرات الجيش الصيني وتطوير أسلحته^(٤١) ، وكان يسمى مدفع المسلمين ، وأول من استعمله المغول سنة (٩٣١هـ-١٢٣٢م) في حملتهم على العاصمة الصينية (تشانغ أن)^(٤٢) مما سبق يمكن القول : إن العرب المسلمين الوافدين والمستقرين في الصين تعاملوا بحذر شديد مع الصينيين ؛ لأنهم يدركون حجم الرسالة التي يحملونها، فهمم الأول نشر دينهم وعقيدتهم والتقاني في إبراز مبادئ السلام التي نادى بها الإسلام وحضارته، واحتواء أكبر عدد ممكن من الصينيين الداخلين في الإسلام فكانت افعالهم مثار إعجاب في الأوساط الشعبية والرسمية في الصين^(٤٣).

رابعاً : التعايش الاجتماعي السلمي :

لا شك أن الأوضاع السياسية المستقرة للدولة العربية الإسلامية لها انعكاساتها على أوضاع المسلمين بوجه عام، وتعامل الحكام الصينيين مع المقيمين من العرب المسلمين في

الصين بوجه خاص، وسهلت بشكل كبير التفاهم والتعايش السلمي الاقتصادي والاجتماعي فيما بعد.

لقد عرف عن الصينيين انهم أولو نزعة استعلائية ، فالصين كانت تتمتع بمكانة مرموقة بين الأمم، وبالمقابل فإن العالم الإسلامي الذي كان فتياً فرض نفسه بوصفه قوة عظيمة سياسية واقتصادية فليس هناك شك بأن تكون أوضاع العرب المسلمين على أحسن وجه^(٤٤) ، لذلك كانت لهم حياتهم الاجتماعية الخاصة ويتميزون بعبادات وتقاليد تتفق مع دينهم وقيمهم ومارسوها بكل حرية سواء في المال أو الملبس أو المشرب^(٤٥) وفي الوقت نفسه أجبرهم الانخراط والاندماج بالمجتمع الصيني إلى التأثير بعباداتهم وتقاليدهم وتكلموا بلغتهم وتسموا بأسمائهم لكنهم حافظوا على شعائرهم الدينية وعباداتهم المرتبطة بشريعتهم^(٤٦) ، ولم يعد المجتمع الصيني يسمى المسلمين بالعرب أو الأجنبي كما كان معهوداً في القرنين (الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين) بل أطلق عليهم اسم صيني مازال اسمهم إلى الآن (هوي Huehui)^(٤٧)

لقد ساعدت العوامل والقيم المشتركة بين الإسلام وما نادى به الأديان الوضعية في الصين البوذية والطاوية والكونفوشيوسية^(٤٨) على بناء علاقات اجتماعية سلمية قوية مبنية على أسس وقيم راسخة في الوجدان الإسلامي والصيني معاً، مما ينعكس عملياً على العلاقات الاجتماعية اليومية بين المسلمين والصينيين^(٤٩)، والحقيقة أن المسلمين كما يذكر ارنولد كانوا يصورون الإسلام لمواطنيهم من الصينيين على انه متفق مع تعاليم الكونفوشيوسية مع فوارق أن الصينيين يسيرون وفق تعاليم أجدادهم في الزواج والجنازات وغسل الأيدي قبل وجبات الطعام واكل لحم الخنزير والدخان ولعب الميسر^(٥٠) ، وكذلك كانت مؤلفات المسلمين الصينيين تمجد كتب كونفوشيوس وغيرها من الكتب الصينية وتشير إلى الالتصاق الموجود بين الكتب الصينية

وتعاليم الإسلام الاخلاقية^(٥١) ولاسيما وأن المسلمين لم يكونوا راغبين في أن يظهروا كأجانب، فهم مواطنون صينيون وإن اختلف دينهم واختلفت لغتهم، وكانوا من الرصافة بحيث بنوا مساجدهم من دون مآذن كما كان بعضها مصمماً على الطراز الصيني بحيث لا يمكن أن يميز الناظر إليها في الخارج بينها وبين أي معبد آخر مثل مسجد "تشغ تشن داسي" (بمعنى بيت الله تعالى) ، وقد تأسس في عصر أسرة مينغ ، والحقيقة أن المسلمين لجأوا إلى ذلك مراعاة لشعور الصينيين وتجنباً لاستفزازهم، كما لم يتميزوا عن غيرهم في الزي والملبس حتى لا يكاد يعرفهم أحد من أول وهلة^(٥٢).

لقد تأكدت سلمية العلاقات الاجتماعية بالمصاهرات الزوجية بين المسلمين والصينيين ، فقد ذكر ابن النديم (ت ٣٧٨هـ/٩٨٨م) "إذا تزوج الواحد منا إليهم وأراد الانصراف قيل له دع الأرض وخذ البذور"^(٥٣) على أن هذا القانون تغير فيما بعد إذ يشير ابن بطوطة أن المرأة تخير بين البقاء أو الرحيل مع الرجل إن وافقت على ذلك^(٥٤) كما أن الزواج كان وفق الشريعة الإسلامية ويثبت ذلك لدى قاضي المسلمين^(٥٥) واستمرت العلاقة السلمية حتى وقت متأخ؛ فقد روى لنا ابن بطوطة عند زيارته لإحدى المدن الصينية كيف أن الصينيين والمسلمين قد عاشوا في المدن نفسها لكن في أحياء مختلفة، ومن الجدير بالذكر هنا أن ابن بطوطة لم يتحدث عن مشاكل اجتماعية بين الطرفين بل تحدث عند مدى ضيافة وحسن معاملة الأمير الصيني عند علمه بقدوم ابن بطوطة^(٥٦) ، وهذا يدل على أن العلاقات الاجتماعية كانت قوية وسلمية بين المسلمين والصينيين.

الخاتمة :

١- إن المسلمين دخلوا إلى الصين سلميين واستقروا سلميين واستمروا سلميين.

٢- وضع الدولة العربية الإسلامية المستقر له تأثير كبير على أوضاع المسلمين بوجه عام والمقيمين في الصين بوجه خاص، لذلك لم يأتِ احترام السلطة الحاكمة في الصين للعرب المسلمين المقيمين هناك من فراغ بل يدركون حجم الإسلام والمسلمين في تلك المدة بوصفه قوة عظيمة لا يستهان بها.

٣- الخلفية الثقافية للتاجر المسلم ساعدت كثيراً على تقديم دين الإسلام لغير المسلمين بطريقة منظمة وأسلوب حكيم كما قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}

٤- إن بعض الأحداث التي شوشت صور التعايش السلمي بين المسلمين والصينيين لم تكن موجهة ضد المسلمين المقيمين هناك بل شملت كل الأقليات الموجودة، وحتى الصينيين أنفسهم لم يسلموا منها، كما أن تقييد الحريات من بعض الأسر الحاكمة في الصين لا يرتقي إلى مصطلح اضطهاد المسلمين، لذلك تبقى العلاقة بين المسلمين والصينيين على طول مراحل التاريخ الصيني المتمثل في حكم الأسر الحاكمة في الصين نموذجاً ناصعاً للتعايش السلمي وقبول الآخر والتعايش بين الشعوب والأديان .

٥- القيم المشتركة بين الإسلام والأديان الوضعية في الصين ساعدت كثيراً على بناء علاقات اجتماعية سلمية يومية بين المسلمين والصينيين.

قائمة المصادر والمراجع :

- (١) سيف الحق بان شيجي: اثر الثقافة الإسلامية على اللغة العربية في الصين تاريخاً ودراسة، (أطروحة دكتوراة غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة بشارو، ١٩٩٥م)، ص ١٣٣.

(٢) احمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح: تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ج ١، ص ١٨٠.

(٣) ابو زيد الحسن السيرافي: رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان واندونيسيا، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٩٩٠م، ص ٤٣.

(٤) المنانية: نسبة إلى ماني بن فاتك القائل بالنور والظلمة وقد تبعه الكثير من المجوس عندما أحدث ديناً بين المجوس والنصراوية. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، مصر، مؤسسة الحلبي، د.ت، ج ١، ص ٤٩.

(٥) أبو الفرج محمد بن إسحاق: الفهرست، ط ٢، تحقيق إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧، ص ٤٧.

(٦) ابن النديم: الفهرست، ص ٤٧.

(7)Fitzgerald, cp: Chinese Artzed, London, 1968, p328

(8)Ching, Julia: Chinese Religion, (London: Macmillan, 1993), p.178.

(٩) محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم: تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة، الرباط، اكااديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ، ٤٩٠، ص ١٢٧.

(١٠) سليمان التاجر: رحلة سليمان التاجر اوردها السيرافي ضمن رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان واندونيسيا، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٢م، ص ٢٤.

(11)Ghin&,Julia: probing China's Soul:Reli&ion,politics,and protestin tnepeople's Republic,lsted. San Fran cisco, Harper&Row,1990,p 180.

(12)ptak,Roderic:"FromQuan Zhou to the sulu Zhou and Beyond: Questions Related to the Early Fourteenth Century "Journal of Southeast Asian studies,1998 p.10

(١٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج ٤، ص ١٤٥-١٤٦.

(14)Bowman, Jinn S.,ed: Columbia Chronologies of Asian History and Culture, New York, Columbia University of china&oprss,1962.P.195.

(١٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج ٤، ص ١٤٦.

(١٦) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج ٤، ص ١٤٦.

(١٧) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج٤، ص ١٥٢.

(18) Fitzgerald, Cp: Flood Tide in china, London T Gresset press, 1958, p329.

(19) Dawson, Christpher, The Mongol mission: Narratives and letters of Francis Can missionaries and China in The Bthe and 14th centuries, Ams press, 1980, p, 233-234.

(٢٠) فنغ جين يونان: الإسلام في الصين، ترجمة لي هواينغ، (د.م) ، (د.ت)، ص ١٧؛ تاريخ التانغ القديم: الفصل ١٩٨، ص ١٧.

(٢١) السيرافي: رحلة السيرافي، ص ٢٤.

(22) Fitzerald: Flood Tide incnina. p330

(٢٣) السيرافي: رحلة السيرافي، ص ٤٣؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر، ط٤، اعتنى بها يوسف أسعد داغر، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر، ج ١، ص ١٩؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ، ج ١، ص ٢١٢؛ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان: حسن السلوك الحافظ الدولة الملوك، تحقيق فؤاد عبد المنعم، الرياض، دار الوطن، ١٤١٦هـ، ج ١، ص ١١١؛ عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن الشيرازي: المنهج السلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي الموسوي، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٧٣٤.

(٢٤) السيرافي: رحلة السيرافي، ص ٧٥.

(٢٥) أبو عبد الله ابن الأزرقي: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، العراق، وزارة الإعلام، (د.ت)، ص ٤٠٢.

(٢٦) أياس سليم سليمان أبو حجير: المسلمون في الصين (١٣١-٧٦٩هـ/٧٤٨-١٣٦٧)، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية- غزة، ٢٠٠٩م)، ص ١٠٣؛ بان شيجي: أثر الثقافة، ص ١٧٤؛ جمال الدين باي تشيوي: الإسلام والمسلمون في الصين، مجموعة البحوث في تاريخ الصين، (د.م)، (د.ت)، ص ١٧٩؛ وانغ لنغ قوي: القصة الكاملة للإسلام في الصين، ترجمة: رشا كمال، مراجعة: احمد السعيد، مصر، اطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٥، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٢٧) بان شيجي: اثر الثقافة، ١٧٦؛ سيرة شمس الدين، تاريخ يونان، ١٢٥.

(٢٨) فاسيلي فلاديمير وفتس بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو، نقله عن الروسية: صلاح عثمان هاشم، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ط١، ١٩٨١ ص ٥٥٣-٥٥٧.

(٢٩) بان شيجي: اثر الثقافة، ص ١٧٦.

(٣٠) السيرافي: رحلة السيرافي، ص ٥٥؛ المسعودي، مروج، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣١) السيرافي: رحلة السيرافي، ص ٥٥.

(32) Finding, John,Thac Keray, Frank,the: History of china (Greehwood press,2001),p67.

(33) Finding:The Historey of China, p.14.

(٣٤) سليمان حزين: المشرق العربي والشرق الأقصى علاقاتهما التجارية والثقافية في العهود الاغريقية، الرومانية والإيرانية، العربية، ترجمة: محمد عبد الغني سعودي، مراجعة: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م، ص ٢٠٨.

(35) Fitzzgerald,C.P:Flood Tide in china,p.315

(٣٦) بدر الدين حي الصيني: تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، طرابلس، لبنان، دار الإنشاء للطباعة والنشر، ١٩٧٤، ص ٢٤؛ محمود يوسف لي هواين: الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ١٩٩٣م، ص ١٨؛ يحيى محمد الشربيني القناوي: نشاط المسلمين التجاري في الصين وأثره على الحضارة الإسلامية في العصر الإسلامي (٩٦٠م-١٣٦٨م)، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، معهد الدراسات والبحوث الآسوية، مصر، د.ت)، ص ١٢٧.

(٣٧) هواين: الشخصيات، ص ١٥.

(٣٨) هونغ كيونج كون: الإسلام في الصين خلال القرنين الأول والثاني الهجريين (رسالة ماجستير غير جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، ١٤٠٩هـ، ص ٢٥١-٢٥٢).

(٣٩) لم اعثر على تاريخ حكم هذه الأسرة.

(٤٠) كون: الإسلام في الصين، ص ٢٥٢-٢٥٢.

(٤١) الصيني: العلاقات، ص ٢٤٨-٢٥٢؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٩م، ٤٧٨-٤٧٩.

- (٤٢) الصيني: العلاقات، ص١٤٧-٢٥١؛ القناوي: نشاط المسلمين، ص١٢٩.
- (٤٣) بدر الدين حي الصيني: "أثار الإسلام الحضارية في الصين" ضمن بحوث المؤتمر السنوي السادس، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ص٣٢١.
- (٤٤) أبو حجر: المسلمون، ص١١؛ Fitzeralad, Flood: Tide in chian, p321.
- (٤٥) السيرافي: رحلة السيرافي، ص٣٢-٣٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ص٤٧٨؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ابن الأزرق: بدائع السلك، ص٤٠٢.
- (٤٦) أبو حجر: المسلمون، ص٩٧.
- (٤٧) أبو حجر: المسلمون، ص٩٧؛ Esposito, Jonnl: Islam in Asia: Religion, plitics, and society. New York: oxfoed university press, 1987, p 141
- (٤٨) Esposito: Islam in Asia, p 141
- (٤٩) أبو حجر: المسلمون، ص٩٨.
- (٥٠) ابن النديم: الفهرست، ص٤٢٧.
- (٥١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٤٨٩.
- (٥٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٤٩٧.
- (٥٣) الفهرست: ص٤٢٧.
- (٥٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٤٨٩.
- (٥٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٤٩١.
- (٥٦) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٧٢٥.